علم البلاغـــة: النشأة والمؤثرات

الأستاذ المحاضر

م.م. إسراء عبد الخالق جاسم

محاور المحاضرة

- البلاغة لغة واصطلاحاً
- أقسام البلاغة
- أهداف نشأة البلاغة
- مؤثرات النشأة
- المدارس البلاغية

البلاغة لغة واصطلاحاً

- **في اللغة:** هي الانتهاء والوصول, وفي لسان العرب: بلغ الشيء يبلغ بلوغاً وبلاغا: وصل وانتهي, تبلغ بالشيء وصل إلى مراده, والإبلاغ الإيصال بلغت المكان بلوغاً.
- **في الاصطلاح: عند السكاكي (ت626هـ)** هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حداً له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها, وإيراد التشبيه والمجاز والكناية على وجهها.
- **وهي عند الخطيب القزويني (ت 739هـ)** مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته.

أقسام البلاغة

- **علم المعاني:** هو علم يبحث في كيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال, وهو الطريق الذي يجب أن يسلكه الأديب للوصول إلى هذه الغاية, وفيه نحترز من الخطأ في تأدية المعنى المراد.
- **علم البيان:** أصول وقواعد يعرف بها إيراد المعنى الواحد, بطرق يختلف بعضها عن بعض, في وضوح الدلالة العقلية على ذلك المعنى نفسه
- **علم البديع:** علم تعرف به الوجوه والمزايا التي تكسب الكلام حسناً وقبولاً بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ووضوح دلالته, بخلوها من التعقيد المعنوي.

أهداف نشأة البلاغة

تظافرت أسباب وأهداف كثيرة دفعت العرب إلى الخوض في الدراسات البلاغية, ويمكن تلخيصها في:

1- الغرض الديني: وهو خدمة للقرآن الكريم الذي كان معجزة تحدّي الإنس والجن, ولكي يبرهنوا على إعجازه ويفهموا آياته وأسلوبه ليستنبطوا الأحكام منه اتجهوا إلى البلاغة باحثين فنونها وموضحين أقسامها لتكون لهم عوناً على فهم القرآن.

2- الغرض التعليمي: وهو تعليم الناشئة اللغة العربية ومعرفة أساليبها بعد أن اتصل العرب بأمم شتى وأدى ذلك الاتصال إلى فساد اللغة ودخول اللحن فيها. يضاف إلى ذلك أن كثيراً من المسلمين كانوا بحاجة إلى تعلم العربية وبلاغتها ليفهموا القرآن الكريم وليعيشوا في ظل دولة لغتها العربية.

3- الغرض النقدي: وهو تمييز الكلام الحسن من الردئ والموازنة بين القصائد والخطب والرسائل: والبلاغة تعين الناقد كثيراً لأنها تقدم له الآلة التي تعينه على الفهم والحكم, ولذلك نجد القدماء يعنون عناية كثيرة بها, ويؤلفون الكتب فيها.

مؤثرات النشأة

أثرت في نشأة البلاغة وتطورها عوامل عدة أهمها:

- القرآن الكريم
- المفسرون
- اللغويون والنحاة
- الشعراء والكتاب
- المتكلمون

المدارس البلاغية

- كانت العوامل المؤثرة في البلاغة كثيرة منها الأدبية ومنها الكلامية, وقد أدى هذا الاختلاف إلى أن تتجه البلاغة اتجاهين أطلق عليهما: المدرسة الكلامية, والمدرسة الأدبية.

وقد نبه أبو هلال العسكري (ت395هـ) إلأى منهجين في دراسة البلاغة منذ عهد مبكر إذ قال: ((وليس الغرض في هذا الكتاب سلوك مذهب المتكلمين وانما قصدت فيه قصد صناع الكلام من الشعراء والكتاب, فلهذا لم أطل الكلام في هذا الفصل)).

المدرسة الكلامية

كان للفلسفة وعلم الكلام أثر في الفكر العربي والاسلامي, ولم يسلم علم من العلوم من الأثر الفلسفي والكلامي, وكان للبلاغة نصيب عظيم من ذلك الأثر فتوثقت الصلة منذ عهد مبكر بينها وبين المنطق والفلسفة, وأخذت هذه الصلة تزداد قرنا بعد قرن فانعكس ذلك على الدرس البلاغي, فكانت المدرسة البلاغية التي اهتمت بالتحديد الدقيق والتقسيم العقلي, وجعل التعريف جامعا مانعا, واستعمال أساليب المتكلمين, والاكثار من الألفاظ الفلسفية والمنطقية.

المدرسة الأدبية

كان القرآن الكريم من أهم العوامل التي طبعت بحوث البلاغة بطابع أدبي يعتمد على الذوق الرفيع قبل اعتماده على التحديد والتقسيم, وكان للكتاب والشعراء أثر واضح في البلاغة, فقد صبغوا كثيراً من موضوعاتها بصبغة أدبية لما امتازوا به من أدب غزير وذوق سليم, ومن خصائص المدرسة الأدبية استعمال المقاييس الفنية في الحكم على الأدب ولذلك نجدها مرة تستطيع التعليل ومرة لا تستطيع.

وأسرف رجال المدرسة الأدبية في ذكر الشواهد والأمثلة, وكانوا يذكرون التعريف ثم يأتون بالأمثلة الكثيرة التي تصل في بعض الأحيان إلى المقطوعات الشعرية.